

د/ بوزبرة عبد السلام	جامعة محمد بوضياف المسيلة
فلسفة الدين (السنة الثانية ماستر)	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
السداسي الثالث : 2023/ 2022	قسم الفلسفة

المحاضرة السابعة:07

الدين والعلم:

3. الدين ومنظومة علوم الوحي.

لقد شكل الدين . كموضوع للبحث والنظر. نقطة تقاطع تبيي يلتقي عندها الفلسفي والكلامي / أو اللاهوتي. ومن ثم فإن التفكير في أفق هذين الحقلين المعرفيين في ارتباطهما بالدين؛ يؤسس للتساؤل عن حقيقة كل منهما، ومدى اشتراكهما واختلافهما.

1. تعنى فلسفة الدين بالبحث عن المبادئ النظرية لمعرفة الدين، كما وتهتم بالبحث عن المشتركات بين الأديان، في حين أن علم الكلام في كل دين يهتم في المقام الأول بالدفاع عن أصول عقيدة ذلك الدين بإزاء العقائد الأخرى، ومحاولة تفنيد العقائد المخالفة، فضلاً عن الدفاع عن عقائد فرقة دينية معينة من الفرق المنضوية تحت الدين الواحد إزاء الفرق الأخرى في الدين نفسه.

2. ليست وظيفة فلسفة الدين دفاعية ولا مشغولة بدين معين دون آخر، بل هي معنية بالدين كله من حيث هو دين، وتنطلق من نقطة بدء موضوعية وعقلانية خالصة، أي تبدأ بداية غير منحازة، لكنها قد تنحاز في نهاية التحليل لدين ما بناءً على أسس عقلية محضة؛ لأنها تنتهج المنهج البرهاني، ويتخذ فيلسوف الدين العقل والواقع المتعين معياراً للتمييز بين الحق والباطل، أما علم الكلام فينطلق من نقطة بدء ذاتية تقوم على التسليم المطلق بصحة عقيدة ما؛ لذلك فهو يسير على مبدأ آمن ثم تعقل، ويتخذ المتكلم فهمه للنص الديني معياراً للتمييز بين الحق والباطل، ويكون علم الكلام من بدايته إلى نهايته منحازاً إلى دين معين، وينتج المنهج الجدلي لتبرير أصول عقيدة ما.

3. فلسفة الدين تمثل التفكير الفلسفي في الدين، في حين أن علم الكلام يمثل الدفاع العقلاني عن الدين، وهنا يتضح أن الدين في فلسفة الدين يكون في خدمة العقل، أما في علم الكلام فيكون العقل في خدمة الدين.

4. فلسفة الدين تحاول البحث عن مدى عقلانية المعارف والمعتقدات الدينية بمحاكمة تلك المعارف والمعتقدات، وهنا تمثل فلسفة الدين معرفة بشرية للدين، أما علم الكلام فإنه يؤمن بالمعارف والمعتقدات لدين معين أولاً، وينقلها للآخرين بإثبات عقلانيها ثانياً، وهنا يمثل علم الكلام معرفة دينية لدى البشر، فنلاحظ أن موضوع فلسفة الدين هو وجود الدين منظوراً إليه فلسفياً من منطلقات خارج إطار الدين بما قد ينتهي إلى إثباته أو نفيه، أما موضوع علم الكلام فهو وجود الدين وارتباطه بالمنظومة الوجودية الكونية، إذا أرد إثباته والدفاع عنه من منطلقات داخل إطار الدين مؤسسة على اعتقاد سابق بوجود الدين وأحقيته.

5. في سياق منهج فلسفة الدين يتخذ العقل موقع الريادة؛ لوجود تلازم قائم بين المنهج العقلي وأي جهد فلسفي، أما العقل في سياق المنهج الكلامي فيتخذ موقعاً ثانوياً؛ لأنه مسبق بالمعرفة التي مصدرها الوحي ومسخر لخدمتها، والعقل في فلسفة الدين يجمع في آن واحد بين كونه أداة في الاستدلال والإثبات، وكونه مصدرًا في المعرفة الفلسفية التي يفترض أن تكون غير مسبوقة إلا ببديهيات العقل ومسلماته، أما في الكلام فالعقل محكوم بالنتائج المستمدة سلفاً من الوحي، والمطلوب منه البحث عن المقدمات المفضية إليها، وهنا نجد العقل في فلسفة الدين يمثل العقل التحرري والموضوعي ويوصف بالعقل المعرفي، في حين أن العقل في علم الكلام يكون خاضعاً لمعتقدات لا يمكنه الحياد عنها ويوصف بالعقل التبليغي.

أما فيما يتعلق بالمقابلة بين علمي الكلام واللاهوت. في استقلالهما عن فلسفة الدين، نجد أن مباحث علم الكلام قريبة جداً من موضوعات اللاهوت المسيحي. فإذا كان علم الكلام يهدف إلى الدفاع عن الإسلام من خلال الرد على الفرق الضالة من داخل الإسلام أو من خارجه، فإن المسيحية من خلال مباحث اللاهوت قد تطرقت لنفس الأهداف. إذ نجد القديس أوغسطين في القرن الرابع ميلادي قد سعى إلى القضاء على الهرطقات المسيحية وعلى البدع المختلفة. ولهذا نقد بدعة المانوية التي فكر فيها المسلمون أيضاً وقاموا بنقدها. ثم نقد أوغسطين بدعة الفلاغوسية المسيحية. والفلاغوسية هي عقيدة مسيحية انتشرت على يد الراهب يدعى فلاغبيوس. وهذه العقيدة لها رأي مخالف لرأي الكنيسة المسيحية حول موضوع الخطيئة. فقد كان فلاغبيوس يرى أن الإنسان يولد بلا خطيئة .

فإذن هناك تشابه بين علم الكلام العلمي واللاهوت المسيحي من حيث الأهداف. لكن اللاهوت المسيحي أوسع من الكلام كما عرفه بعض المتكلمين المسلمين. إذ إن اللاهوت المسيحي، في جانبه الطبيعي *Théologie naturelle* يضم الفلسفة أيضاً ومازجها بالدين. ونجد أيضاً أن مسائل علم الكلام، خصوصاً مع المعتزلة، اختلطت بمسائل الفلسفة في العالم الإسلامي، لكن الفلسفة الإسلامية برزت أكثر مع الفارابي والكندي وابن سينا وابن رشد الذين يصعب أن نص نفهم كمتكلمين، صحيح أن الكندي كان معتزلياً وابن سينا إسماعيلياً ولكنهما كانا على وعي تام بأن الفلسفة صناعة مستقلة بذاتها، صناعة تعتمد على البرهان وليس على المدل،

بل إننا نجد بعض فلاسفة الإسلام مثل الفارابي وابن رشد يقللون من شأن علم الكلام. ثم إن ابن خلدون في تصنيفه للعلوم أدرج علم الكلام كعلم مستقل عن علم الإلهيات وباقي العلوم التي تدرس داخل الفلسفة كالمنطق والطبيعيات والطب..إلخ، فميز بالتالي الكلام عن العلوم الفلسفية. فإذا رغبنا انتمايات بعض الفلاسفة المسلمين لبعض الفرق الكلامية المختلفة فإننا نجدهم يفكرون بشكل مستقل عن الكلام.

لكن تجب الإشارة هنا إلى أن الكثير من المواضيع الفلسفية التي فكر فيها فلاسفة الإسلام تقترب من المواضيع التي فكر فيها اللاهوتيون المسيحيون. فكلا الفريقين اهتمتا بالمنطق الأرسطي، وبمفهوم السعادة الأخلاقي، وبموضوع الله.. وغيرها من المواضيع الفلسفية. إننا نلاحظ أن المسلمين استطاعوا أن يفصلوا بين علم الكلام والفلسفة، رغم وجود بعض الخلط أحيانا بين العلمين، في حين أن المسيحيين مزجوا بين اللاهوت والفلسفة ليتشكل عندهم مبحث الإلهيات بقسميه الطبيعي والاعتقادي *Théologie révélée* الذي يعرفه القديس أوغسطين بأنه: المجادلة بالمنطق أو المناقشة بشأن الألوهية. وقد استخدم أفلاطون في كتابه الجمهورية مصطلح الإلهيات اللاتيني بمعنى "محادثة عن الله" ويعتقد علماء الإلهيات أن علمهم يساعد على فهم الدين والدفاع عنه وإضفاء المعقولية على العقائد الدينية.. إلخ. وهذا قريب مما يراه المتكلمون أيضا، إلا أن اللاهوت المسيحي اهتم بالفلسفة أيضا وبعدها كالميتافيزيقا، ولهذا ظهر في أوروبا الكثير من الفلاسفة الذين كانوا لاهوتيين أمثال توما الأكويني وليبنيز وغيرهما.

خلاصة:

نفيد مما سبق، إذن، أن علم الكلام/ اللاهوت يهتم بالدفاع عن العقائد الدينية في مواجهة العقائد المخالفة وتفنيدها. وهو ينطلق من نقطة بدأ يقينية، ثم يقوم بالتسليم المطلق بصحة العقيدة، ولذا فهو يسير من مبدأ "أمن ثم تعقل"، ويتخذ من فهمه للنص الديني معيارا للتمييز بين الحق والباطل، ويعتمد على المنهج الجدلي الذي يبدأ من مقدمات ظنية وليست يقينية بالتجربة أو العقل.

أما فلسفة الدين، فتختلف عن علم الكلام أو اللاهوت، فهي ليست دفاعية ولا منشغلة بدين محدد، بل معنية بالدين من حيث هو دين في كليته، وهي تسعى لتأويل الشعور أو التفكير الديني، وتنطلق من نقطة بدأ موضوعية وعقلانية، وتتنتهج المنهج البرهاني في بحثها لقضاياها.

المصادر والمراجع:

- الخشت محمد عثمان "تطور الأديان- قصة البحث عن الإله- ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2010.

- صعب أديب: "المقدمة في فلسفة الدين"، دار النهار للنشر، بيروت، 1994.
- النشار علي سامي: "نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلمة، ط1، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، 1995.
- العلي أحمد: "فلسفة الدين والتدين"، دار الكاتب الإسلامي، بيروت، بلا تاريخ.
- ستيس ولتر: "الزمان والأزل"، مقال في فلسفة الدين، ترجمة زكريا إبراهيم، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، 1967 .
- الحيدري إحسان علي: "فلسفة الدين في الفكر الغربي، ط1، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2013.
- الخشت محمد عثمان: "مدخل إلى فلسفة الدين، ط 1، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، 2016.
- النشار مصطفى: "مدخل جديد إلى فلسفة الدين"، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2014 .
- كاشفي محمد رضا: "فلسفة الدين والكلام الجديد، بحث ضمن كتاب علم الكلام الجديد وفلسفة الدين"، إعداد: عبد الجبار الرفاعي، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.
- وج.أو. أرمسون: "الموسوعة الفلسفية المختصرة"، ترجمة: مجموعة مترجمين. مكتبة الإنجلو المصرية، ط: 1985.